قسم اللغة العربية وآدابها:

الفرقة الرابعة

مادة : الأدب المقارن

لائحة جديدة وقديمة

أ.د/ إيمان بركات

د/ إيمان عبد السميع

= صُعوبات ترجمة الفاظ القرآن الكريم وبلاغته:

خاض الكثير من المترجمين بمختلف أجناسهم ترجمة معانى كتاب الله العظيم ، فتعددت أقوالهم فى ذلك الأمر الكبير .

فاعترف كثير ممن ترجموا القرآن الكريم بالصعوبات التي كانت تواجههم أثناء ترجمتهم لكتاب الله؛ وهذا أمرٌ طبيعىٌ للغةٍ فيها من الإعجاز فى ألفاظه ومعانيه ودلالته وبلاغته، وتراكيبه ،وقد بينوا تلك المشقَة الكبيرة فى ترجمة معانى القرآن الكريم ،وظهر ذلك بوضوحٍ من خلال مقدماتهم الطويلة التي شرحوا فيها تلك الصعوبات ، وكيف تغلبوا عليها من خلال طرائقهم الفردية، التي تُمكنهم من ترجمة معانى النص القرآني. وقد خلصوا جميعًا إلى أن القرآن الكريم خُصَّ ببيانٍ راق وإعجازٍ بلاغي وسحرٍ بياني يصعبُ مُحاكاته, وها هو ذا " آربري" ، وقد حظت ترجمته بشهرة واسعة لدى قراء اللغة الإنجليزية يقول:

"No piece of fine writing has ever been done full justice to in any translation. The Qur'an undeniably abounds of fine writing; it has its own extremely individual qualities; the language is highly idiomatic, yet for the most part delusively simple; the rhythms and rhymes are inseparable features of its impressive eloquence, and these are indeed inimitable."

" لم تنصف الترجمة ابدًا أي نص فني انصافًا تامًا. ومِما لا يدع مجالًا للشك أن القرآن حافلاً بالنصوص الفنية، وله سماته الفردية الخاصة به للغاية، لغته اصطلاحية راقية فوق كل اعتبار، رغم أنها توهم في معظمها بالبساطة، إلا أن الإيقاعات والفواصل هي من السمات الملازمة لبلاغته المبهرة، وهذه كلها حقًا لا تضاهى(")[1].

كما ذهب كثير من المترجمين إلى أنَّ الفاظ القرآن وتعابيره كانت ـ أيضًا ـ إحدى العقبات التي واجهتم أثناء ترجمته، وفي هذا الشأن يقول الشيخ عز الدين الحايك: " ومع ذلك: فإن الترجمة لن تكون كتاب الله، بل هي المعنى التقريبي له؛ لأن كثيرًا من الكلمات والتعابير العربية لا يوجد لها

---

[1] **Arberry, A. J. (١٩٥٣) The Holy Koran: An Introduction with Selections, – George Allen & Unwim, London, P.٢٤.**

مثيل في كلِّ لغات العالم، ومنها على سبيل المثال: الله، الربّ، الرَّحمان، الرحِيم، الخ، وإنما يُعطى لترجمتها ظل من المعنى حسب الإمكان" (٢).

وقد أكد هذا الكلام أيضًا " السِير عبدالله يوسف علي"(٣)حين ذهب إلى القول بأن:

" Arabic words in the text have acquired other meanings than those which understood by Apostle and his companions"(١)

" الألفاظ في النص القرآني قد أُشربت معاني جديدة غير التي كانت عليها قبل عصر الرسول وصحابته". لأن كثيرًا من المفردات العربية قد تجرَّدت من معانيها العامة القديمة التي كانت تدل عليها قبل مجيء الإسلام، وأصبحت تحمل معانٍ خاصة بالعبادات والشعائر، كالصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، الخ. وفي هذا كله ظهرت صعوبة إيجاد مكافئ دقيق لها. وفي هذا الشأن يقول يوسف علي:

"Classical Arabic has a vocabulary in which the meaning of eachroot-word is so comprehensive that it is difficult to interpret it in a modern analytical language word for word, or by the use of the same word in all places where the original word occurs in the Text. An Arabic word is often a ray full of light; when a translator looksat it through the prism of a modern analytical language, he misses agreat deal of its meaning by confining his attention to)one particular colour(٤).

" إن اللغة العربية الكلاسيكية لديها مفردات يكون فيها كلِّ جذرٍ لغوي شاملًا في معناه لدرجة أنه من الصعب تفسيره بلغة إعرابية معاصرة كلمة بكلمة أو باستخدام اللفظة نفسها في كل المواضع التي ترد فيها اللفظة الأصلية في النص (القرآني)، وغالبًا ما تكون اللفظة العربية شعاع ضوء كثيف. وعندما ينظر المترجم إليها من خلال موشور لغة أعرابية معاصرة، فإنه يفقد الكثير من معناها بحصر اهتمامه في لون واحد تمميز".

ونَرى يوسف علي " يسوق لنا مثالًا على هذا النوع من الألفاظ، وهي لفظة " **الصَبر**"، فهي كلمة عربية ثرية بالمعاني؛ يُحدد معناها حسب السِّياق التي وردت فيه، حيث لا يُمكن الإحاطة

٢ــ ترجمة تقريبية سهلة وواضحة لمعاني القرآن الكريم باللغة الإنكليزية، عز الدين الحايك ٢

(١٩٩٨)، ط٢، دار الفكر، دمشق،ص:٣٢.

٣-السِّير عبدالله يوسف على أحد مترجمى القرآن الأوائل فى اللغة الإنجليزية : بريطانى مُسلم.

٤ـ The Glorious kur'an Translation and Commentary by Abdullah Yousuf Ali, Beirut: Dar al-Fikr, P٢٣٤. .

بمعانيها كلها بكلمةٍ واحدةٍ ([٥])، فقد تُترجم patience، وهُنا يكون **الصَبر** بمعنى الحلم، وقد تترجم Constancy، وهنا يكون **الصبر** بمعنى الثبات.

بل قد تحمل الكلمة الواحدة في السِّياق القرآني عدة مدلولاتٍ في آنٍ واحدٍ، إ ذ لا يخفى على أحد أن القرآن حمّال أوجه، ومن ثمّ يصعب ـ بل يستحيل ـ على المترجم أن يُماثل ويُعادل الصورة الدلالية بما تحمله من كافة ظِلال المعاني والوجوه المُحتمله، " كما هُو الحال في قول الله تعالى: ((فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ & فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ))[٦]. فلقد اختلف مفسرو القرآن في مدلول معنى (الصريم) كما يَلي.

الصّريم: اللَّيل المظلم أو البهيم (قاله الفراء).

الصَّريم: الرَّماد الأسود (قاله ابن عباس).

الصَّريم: الزَّرع المحصُود (قاله الثوري وابن قتيبة).

وعندما نَنظر إلى ترجمة هلالي وخان (ترجمة مجمع الملك فهد) نَجدُ أنهما ترجماها:

بـ "**like a pitch dark night** "، أي: " الليل المظلم"، بينما ترجمها بيكتال بـ " **it was** as if plucked"، أي: " الصبح إذا انصرم من الليل"، وترجمها أربري بـ " **it was as if it were** a garden plucked"، أي: " الزرع المحصود". ويتضح جليًا من تلك لترجمات أن كلَّ مترجم تبنى تفسيرًا ومذهبًا معينًا لتوصيل المعنى المقصود، دون تمكن أي منهم من الإتيان بمعنى جامع مانع يكافئ الأصل"[٧].

ولذا نرى أن عبدالله يوسف على يعيب على المترجمين الأوربيين قصورهم في ترجمة اللفظة القرآنية تر**جمة دقيقة فيقول:**

"European translators have often failed in this respect and sometimes even been landed in absurdities because these rich delicate tones are not studied in their languages or

---

١ــ المرجع السابق .ص: ٢٣[٥]

[٦]–سورة القلم، الآية: ١٩، ٢٠.

–

[٧]ـ دراسة برجماتية لغوية حول فاقد الترجمة وإشكالات المثاقفة في ترجمة معاني القرآن الكريم، أمير العزب،الجلسة السادسة: ترجمة النصوص ذات الخصوصية الثقافية والدينية، أعمال المؤتمر الذي اقامه منتدى العلاقات العربية والدولية في الدوحة بتاريخ ٢٦/ ٢٧ فبراير،٢٠١٤، إعداد وتقديم: مجاب الإمام محمد عبد العزيز، ط١، ص: ٤٥٥.

literatures, and they do not look for them or appreciate them in the best examples of Oriental style.([٨])

" إن ترجمة الأوربيين غالبًا ما تفشل في هذا الصدد، وهم أحيانًا يقعون في المجال؛ لأن هذه الفوارق الغنية والمعقدة لا تدرس في لغاتهم وآدابهم، وهم لا يبحثون عنها ولا يتذوقونها في أحسن امثلة الاسلوب الشرقي".

ولم يتوقف الأمر عند ذلك، بل إن للقرآن الكريم له تأثير خاص لدى قارئه العربي يختفي تمامًا في الترجمة، ومن ثم لا يشعر القارئ الهدف ،أو القارىء الذى يقرأ الترجمة بما يشعر به القارئ المصدر،أى القارىء الذى قام بالترجمة وها هو أربري يؤكد هذه الحقيقة فيقول:

"The Qur'an is God's revelation in Arabic, and the emotive and evocative qualities of the original disappear almost totally in the skilfullest translation([٩].

" إن القرآن هُو وحي الله باللغة العربية، وإن مزايا النص الأصلي المُؤثرة في العواطف والأفكار تكاد تختفي تمامًا حتى في أشد الترجمات براعة".

فترجمة القرآن الكريم ليست بالأمر اليسير، بل مُهمة شاقة ورسالة صعبة، وحسبُنا ما قاله العلامة عبدالله كنون (١٩٠٨م ـ ١٩٨٩م) في هذا المسألة، يقول ـ رحمه الله ـ : " من المشكلات التي تواجه الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر: ترجمة القرآن إلى اللغات الأجنبية، ذلك أن القرآن ـ كما هو معروف ـ في القمة من البلاغة العربية، ولأجل النفاذ إلى أسراره، وفهم مقاصده، يجب أن يكون المترجم ممن لهم تضلُّع في قواعد اللغة العربية نحْوًا ولغة وبيانًا، وذلك فضلا عن المعرفة بعلوم القرآن وأسباب النزول والفقه والحديث والتفسير"([١٠])

النزعة التحريرية / الليبرالية: د/ إيمان عبد السميع

كان عصر ما قبل الثورة عصر جمود وتقاليد وأنظمة عتيقة وقوانين بالية في كل مجال من مجالات الحياة؛ كانت الملكية سائدة في السياسة، وسلطان الكنيسة متسلطًا في الدين،

---

[٨] **The Glorious kur'an Translation and Commentary by Abdullah Yousuf Ali, A) previous source, p. viii.**

[٩] **ـArberry, A. J. (١٩٥٣) The Holy Koran: An Introduction with Selections, George Allen & Unwim, London, p.٢٢.**

٢ـ منطلقات إسلامية، كنون عبدالله، طنجة، مطبعة سوريا، ص١٨٢.

والطبقة الأرستقراطية تتسنم المجتمع، والكلاسية تتزعم الأدب، وجاءت الثورة كالعاصفة تجتاح أمامها كل هذه الأنظمة البالية. وأصبح من المحتم أن يسود أدب جديد يعبر عن الثورة وعصرها فكانت الرومانسية .

ويرى الرومانسيون أن الأدب الصحيح هو أدب التحرر والانطلاق، ومن ثم فقد أخذوا ينعون على الناس قيودهم، وعلى المجتمع نظمه وتفكيره، إذ آمن معظم الرومانسيين بضرورة أن يكون أدبهم هو «أدب الثورة على ما تعفن من قيم ومواضعات أخلاقية واجتماعية، ثم هو أدب التحرر الفكري والسياسي، وهو بعد ذلك أدب الفرد والعبقرية الفردية والحرية في الفن» (١١).

وهذا السبق إلى الثورة يرجع إلى المذهب الليبرالي ***Liberalism*** أو النزعة التحررية التي ضربت بجذورها في تاريخ الفكر الأوروبي إلى عصر النهضة ***Renaissance***، وآتت أكلها على نحو ملحوظ يُعتد به في غصون القرن الثامن عشر، فانتهى بها المطاف إلى الثورة الفرنسية ١٧٨٩في مبادئها المعروفة من التحرر والإخاء والمساواة ***Liberate, Fraternite, Egalite*** (١٢).

وقد كان للثورة الفرنسية وما دعت إليه من مبادئ الحرية والإخاء والمساواة أثرها الكبير في نفوس الأدباء الرومانسيين، إذ أوحت الثورة الفرنسية إلى الأدباء الإنجليز بمبادئ الحرية والثورة على الظلم والاستبداد، كما أوحت إليهم باتجاهات أدبية جديدة إذ بينت علاقة الأدب بالمجتمع , وقد شايعها الكثير من أمثال وردزورث وشلي وبيرون « وقد أوحت إليهم باتجاهات وطنية، وذلك عند انحرافها عن أهدافها الأولى » (١٣).

وقد أثر هذا الانحراف على معظم هؤلاء الأدباء، إذ جعلهم يعتزون بأوطانهم، ويحسون بقومياتهم .

وفي ألمانيا كان أثر الثورة الفرنسية عظيمًا فرأى الأدباء الألمان في الثورة فجر عهد جديد سموا باريس عاصمة العالم , واعتقدوا أن فرنسا ستكون أثينا الجديدة « ولكن انحراف تلك الثورة في بعض فتراتها كان سببًا لخلق الشعور الوطني عند الكتاب من الإنجليز والألمان، وكان هذا الشعور ذا أثر كبير في الرومانسية أيضًا إذ وجه الكتّاب إلى استيحاء تراثهم الوطني والأدبي القديم وإلى الاعتداد بأنفسهم » (١٤).

وإذا كان للرومانسية وجهان من التحرر وهما التحرر من القيود الخارجية التي تمثلها التقاليد الاجتماعية والسياسية والدينية الكنسية، والتحرر الداخلي أو النفسي والوجداني حيث يتم تجاوز العقل والعرف العام إلى العالم الماورائي من الكيان الإنساني، إذا كان لها هذان الوجهان فإن لها مرحلتين في مسيرة هذا التحرر. كانت المرحلة الأولى منهما ثورة على قيم

---

(٤) جوستاف لانسون : تاريخ الأدب الفرنسي، جـ٢، ت : محمود قاسم ، ط الألف كتاب ، القاهرة، ١٩٦٢م، ص٢٨١ .
(١) حلمي علي مرزوق : الرومانسية الواقعية النقدية – الواقعية الاشتراكية ، ص١١ .
(٢) المرجع السابق ، ص١١ .
(٣) محمد غنيمى هلال: الرومانتيكية، ص٢٥ .

الإقطاع والكنيسة، وكانت الثانية ثورة على الاستغلال الجديد الذي مثلته الرأسمالية البرجوازية التي خلفتها الثورة على الإقطاع والكنيسة، إذا كان استغلالاً وظلمًا للطبقات الفقيرة المحرومة فاق الظلم والاستبداد الذي يمارسه الملوك , وقد عبر الشعراء في ثورتهم الثانية عن الآمال الضائعة والنعيم الأرضي الذي بشر به الليبراليون أو دعاة الأخوة والمساواة [١٥].

ومن ثم فقد كانت الثورة طابعًا ملازمًا للرومانسية، ففي نشأتها كانت « ثورة على الأفكار العلمية والميكانيكية التي أوجدتها الكشوف العلمية، وثورة على انقياد الشعر لهذه الروح الرتيبة المنطقية، أو قل هي ثورة القلب على العقل، بقصد الإعلاء من شأن الشعور والعاطفة، ونزعة إلى أن يثبت الشاعر أن خياله أسمى من العالم الآلي، وأن نفسه أوسع منه مدى، ومن خلالها يرى ما لا يراه الناس في عالم جديد من خلقه » [١٦].

لذا فقد كانت مادة الأدب الجديد على ذلك العهد هي تحرير الضمير والوجدان، فالرومانسية والليبرالية مذهبان متداخلان كلاهما يستهدف التحرر، الرومانسية تستهدفه في الأدب والفن، والليبرالية في السياسة وشئون الحكم. ويذهب الأستاذ هارولد مارش في موسوعة الأدب العالمي إلى أن الرومانسية مرادفة لليبرالية في المعنى , بل ويسوى بينهما في النشأة والتاريخ ؛ فهما مترادفان عنده لفظًا ومعنى يقول : « وما يسمى حركة رومانسية فيما جرت به العادة لم يبدأ إلا حوالي سنة ١٨١٥م بعد سقوط نابليون وذهاب دولته، فقد كان الأدب والسياسة في فرنسا مترابطين إلى درجة لا نعلم لها مثيلاً في الأمم الأخرى، فأصبح اصطلاح رومانسي وصفا مرادفًا لليبرالي في واقع العمل والتطبيق» [١٧].

فالترابط بين هذين المذهبين قائم لا محالة عن جمهور الباحثين والمتأدبين، فالمبادئ المتحررة في السياسة توازي الرومانسية في الأدب، وحسبنا فيكتور هوجو الذي يعرّف الرومانسية بأنها التحررية في الأدب » [١٨].

فالتحررية غايتها تحرير الإنسان , أو بالأحرى الطبقة البرجوازية النامية من الخضوع الفكري والسياسي والاقتصادي والديني جميعًا. وما ذاك إلا لأن هذه الطبقة كانت أشعر الناس بالظلم وأحسهم بوطأته. ولما كانت الرومانسية هي « التعبير الأدبي عن الحركة البرجوازية » [١٩]فقد وضع الرومانسيون نصب أعينهم تحرير هذه الطبقة والتحدث عن آلامها وآمالها، فالحركة الرومانسية التي بدأها روسو في فرنسا وأثمرت في وردزورث وشلي وبيرون وكيتس هي حركة برجوازية صميمة تهدف إلى تحرير الأنا من جميع القيود المعروفة وتمجد الذات وتقيس الكون كله لا المجتمع وحده بمقياس الفرد، فالفردية التي اكتشفتها البرجوازية , وأعلت من

---

(٥) حلمي علي مرزوق : الرومانسية والواقعية، ص٢٨ .
(١) إحسان عباس : فن الشعر، ص٣٦ .
(٢) حلمي علي مرزوق : الرومانسية والواقعية ، ص١٢، ١٣ .
(٣) ليليان . ر.فرْست : الرومانسية ضمن موسوعة المصطلح النقدي ، ت: عبد الواحد لؤلؤة مج١ ، دار الرشيد للنشر ، العراق، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، ط٢، ص١٦٤ .
(٤) لويس عوض : مقدمة بروميثيوس طليقا لشلي، ص٥٢ .

قيمتها هي جوهر الرومانسية، ومن هنا كانت الرومانسية هي التعبير الفني عن روح الطبقة المتوسطة المجاهدة لتطبيق النظام الفردي وتحريره، الداعية إلى احترام كرامته الإنسانية .
وقد ثارت الرومانسية بكل النظم والتقاليد في سبيل نظم أسمى وتقاليد أصح، بل لقد كانت الرومانسية أشبه بثورة اجتماعية وسياسية وأدبية ضد الكنيسة والنظام الملكي الثابت الدعائم و«في هذا الاتجاه كان الأدب الرومانسي أدبًا ثائرًا، يهتم بمصالح الفرد، ويعتد به، وينتصر له ضد مظالم المجتمع، وكان ذا طابع إنساني شعبي في اختيار أشخاصه وموضوعاته، ثم التحدث عن المشاعر والعواطف الفردية، والتعبير عن الآمال العامة للطبقة المتوسطة، وكان لهذا الاتجاه نتائج ثورية خطيرة تمس قضايا الدين والمجتمع والطبيعة والعاطفة بعامة، ثم كانت له كذلك نتائج فنية تمس الأدب والنقد» (٢٠).

تغنّي هوجو بحرية فرنسا، ونعي على نابليون الثالث ظلمه واستبداده، وقد كان بينهما من الشئون ما كاد يؤدي بهوجو إلى المقصلة لولا حبيبته جولييت(*)، إذ مكنته من الفرار إلى جزيرة جيرزيه، وهي جزيرة إنجليزية في بحر المانش على مقربة من النورماند الفرنسي، فبقي بها إلى سنة ١٨٥٥. وبعد هذا التاريخ غادرها إلى جزيرة جيرنريه وبقي بها زهاء ستة عشر عامًا(٢١). وقد رفض هوجو أن يعود من منفاه حتى ينال وطنه الحرية الحقيقية. يقول : «ليس لأحد أن ينتظر مني أن أعطي فيما يتعلق بشئوني أقل انتباه لما يسمونه هدنة، إن واجبي في وضع فرنسا الحاضر يدعوني إلى الاحتجاج المطلق الدائم والذي لا رجوع عنه، إنني سأبقى أمينًا للعهد الذي قطعته على ضميري، وسأتقاسم والحرية مرارة المنفي حتى النهاية، ولن أعود إلا إذا عادت الحرية» (٢٢).

وقد أخرجت لنا هذه المحنة السياسية جملة من أعظم أشعاره هي ديوانه العقوبات ***Les chatiments*** سنة ١٨٥٣م , وهذه القصائد أتون غضب ثائر على المغتصب الذي يحكم فرنسا اعتصر فيها هوجو كل عواطف الغضب والكره للاستبداد النابليوني , وملأها ذما وهجاء لاذعا لم يسمع له مثيل، وقد اجتمع فيها بغضان؛ بغضه للاستبداد وبغضه لذات نابليون الثالث حتى ليبدو لنا أن كل بيت من السبعة الآلاف التي تتكون منها المجموعة سوطا يجلد به ظهر لويس بونابرت .
ومن أعظم قصائده حماسة وأقواها لهجة تلك التي اختتم بها الباب السابع والأخير وعنوانها الكلمات الأخيرة وقد جاء فيها :
* فأنا لن أنحني ! بل أقبلكما في منفاي القاسي ،

---

(٣) غنيمي محمد غنيمى هلال: الدب المقارن، ص٣٩ .
(*) كانت تمثل رواياته فأحبها اسمها الكامل **Julietfe Droves** جولييت درووبه .
(٢) محمد غلاب : أدباء الرومانتيكية الفرنسية، ص١٣٠ .
(٣) فرانسوا بركيس : هوجو، ص١١٣، محمد غلاب : أدباء الرومانتيكية الفرنسية، ص١٣٢ .

* دون أن أبثّ الشكوى ،
* بقلب ملؤه الحزن وبعزيمة مشبعة باحتقار القطيع ،
* يا أيها الوطن معبدي، ويا أيتها الحرية علمي !
* وأرضي بالمنفى المضني وأن لم يكن له حد ولا نهاية
* دون أن أحاول أن اعرف
* هل خضع مَنْ كنا نعهد فيه العزم والشجاعة
* أو هل ذهب كثير ممن كان يجب بقاؤهم .
* فلو لم يبق سوى ألف فأنافي جملتهم !
* ولو بقي مائة لظلت أتحدى المغتصب ؛
* ولو بقي عشرة لكنت العاشر ،
* ولو لم يبق سوى فرد واحد لكنت أنا هذا الفرد [٢٣].

ويمضي في قصيدته يلعن الظلم والطغيان، هازئًا بالقيصر واستبداده إلى أن يقول :

* يا فرنسا وطني المفدي الذي أبكيه دائمًا
* يا مثوى جدودي ومهد أحلامي
* لن أرى شاطئك الذي يستهويني
* إيه فرنسا سأنسى كل شيء خلا واجبي
* سأنصب خيمتي بين المعذبين
* وسأبقى منفيًا لأني أريد أن أبقى مرفوع الرأس[٢٤].

وكذلك فعل الشاعر الرومانسي لامارتين فقد أسهم هو الآخر في الحياة السياسية بقوة بيانه وخطبه القوية الآخاذة، وألهب الناس بما كتبه عن تاريخ الجيروندبين ***Les Girendins*** الذي نشره سنة ١٨٤٧[٢٥]. وقد أسهم لامارتين إسهامًا فعالاً في ثورة ١٨٤٨ التي أنتجت الجمهورية الثانية التي لعب فيها لامارتين دورًا سياسيًا وقد أصبح يومها وزيرًا للخارجية ورائدًا من رواد الحكومة الجمهورية .

ولانعدم أمثال هوجو ولامارتين في الرومانتيكية الإنجليزية، لأنهم جميعًا يصدرون عن إيمان واحد بقضية الحرية الإنسانية، فاللورد بيرون (١٧٨٨ – ١٨٢٤) روح ثورية بكل ما للكلمة من معنى، فقد أيد الثورة الفرنسية , وأعجب إعجابًا شديدًا بنابليون بونابرت , وكرس له الكثير من قصائده، كما ثار بالمجتمع الإنجليزي وهجره إلى القارة الأوروبية وأنشأ مع لي

---

(١) محمد غلاب : أدباء الرومانتيكية الفرنسية، ص١٣٢ .
(٢) فرانسوا بركيس : هوجو ، ص١١٥ – ١١٦ .
(٣) محمد غلاب : أدباء الرومانتيكية الفرنسية، ص٩٢ .

هانت ***Lee Hant*** صحيفة سياسية سماها الليبرالي[٢٦]، أو المتحرر (١٨٢٢ – ١٨٢٣) وحسبنا هذا الاسم دليلاً على مذهبه التحرري بل على شعوره الثوري المتحفز.

يقول في رائعته دون جوان ***Don Juan*** :

* لأنني سأعلم الأحجار، إن أمكن
* أن تغضب في وجه طغاة الأرض
* إن وسعني إلى ذلك سبيل [٢٧].

وكان قبل استشهاده في سبيل حرية اليونان على استعداد ليقدم حياته في سبيل حرية إيطاليا وانخرط في جمعية ... ثم أصبح عضوا في جمعية الكاربوناري التي تدعو إلى حرية البلاد المستعبدة واستقلالها [٢٨].

وعلى الرغم من سخط المجتمع الإنجليزي عليه، فهو يحب انجلترا بكل ما فيها، ويحب الحرية لنفسه وللجميع يقول من نشيد ***Beppo*** :

* يا إنكلترا ! إنني أحبك رغم عيوبك ،
* وقد قلتها في كاله ولم أتراجع عنها؛
* أحب الحرية للجميع ولنفسي؛
* أحب البرلمان، وأحب مجادلاته ،
* وأرضى بالضرائب، إذا كانت معقولة ؛
* وأحب نار الفحم، إذا لم تكن غالية الثمن ؛
* وأحب المناخ أيضًا . حين يكون محملاً ،
* يعني ما يقرب من يومين طوال الشتاء [٢٩].

مات بيرون ميتة الأبطال وهو يذود عن أقدس واجبات الإنسانية وهي الحرية. فقد نشأ بيرون محبًا للحرية , ومات ضحية للحرية « نبتت بذور الحرية في قلبه فغزاها بدمه حتى أزهرت وأثمرت , ولكن بعد أن امتصت دم غارسها الأمين، فمات الغارس , وبقيت الشجرة مورقة مزهرة غنية بثمارها. فوفاته إذن مأساة للحرية» [٣٠].

وشلي من شعراء الديمقراطية الثائرين بل هو رأسها، شايع الثورة الفرنسية، وكان من غلاة المتحمسين لمبادئها في الحرية على وجه الخصوص، ولا شك أن صرخه شلي وثورته بالعمال

---

(٤) حلمي علي مرزوق : الرومانتيكية الواقعية، ص٢١ .

(٢) The Romantic Imagination. P١٧١ .

(٣) أندريه مورا : بيرون ، ت:بهيج شعبان ، دار بيروت للطباعة والنشر، مطبعة قلفاط ، ١٩٥٥م، ص١٧٣.

(٤) أندريه مورا : بيرون ، ص١٥٦ .

(٥) وليم هازلت : مهمة الناقد، ص٣٩ .

في خنوعهم وفي تقاعسهم عن حقهم في الحياة شاهد من أقوى شواهد ثوريته واحتجاجه الرومانسي يقول في قصيدته "أغنية إلى رجال انجلترا":

* لا أدري أيها الرجال، رجال انجلترا
* لماذا تحرقون الأرض لهؤلاء اللوردات
* الذين يَنْولُون بكم هذا المنزلَ النجس،
* ولا لماذا تجهدون أنفسكم وتصبرونها،
* على نسج الأرواب الفاخرة التي يلبسها طغاتكم !!!
* لا أدري أيها الرجال ،
* لماذا ترهقون أنفسكم من المهد إلى اللحد تطعمون هؤلاء الجاحدين المتطفلين،
* ولا لماذا تدفعون عنهم غائلة الموت .
* وهم يستنزفون عرقكم ، لا بل يشربون دماءكم !!![٣١].

وينبغي أن نشير إلى أن الرومانسي والكلاسي ليسا سواءً في معالجة قضايا المجتمع السياسية والاجتماعية؛ فالرومانسي يعالج هذه القضايا من الناحية الوجدانية القلبية ، ولا يناقشها على أسس نظريات الجتماع أو السياسة أو الدين كما يفعل الشاعر الكلاسي الذي يُغلِّب الطابع الفكري أكثر من الطابع الشعوري.

ولعل تصدي الرومانسي لقضايا التحرر والاستقلال يمثل الجانب الإيجابي في موقفه الوطني ؛ إذ يسهم الرومانسي في قضية مشتركة تجمع بينه وبين أبناء جِلدته ويمتزج شعوره القومي بشعوره الذاتي ، فتَتَلون التجربة بأسلوبه الشعري الخاص.

لقد تغنى شكري بالحرية وندد بمستعمري وطنه فقال :

مَلَكوا الأرضَ واسْتَباحوا حِماها واسْتَطالوا بِجَنَةِ الأقْوياءِ
وَسَعَوا ينشرونَ في الأرضِ سرًا مُنْكَرًا فِي شَريعةِ الأتْقِياءِ
تارة فِي الخَفاءِ بالْمَكرِ يَعدو نَ وَطَوْرًا في جَهْرَةِ العُظَماءِ[٣٢]

ويحفل ديوان علي محمود طه بالعديد من القصائد التي ترينا أن الرومانسيين لم ينصرفوا عن القضايا في مجتمعهم ، لقد تناول في قصائده القضايا السياسية والوطنية والقومية والإسلامية ، يقول من قصيدته"شهيد ميسلون"[٣٣] :

---

(١) حلمي مرزوق : الرومانسية والواقعية: ص٢٦، ٢٧ .

(١) عبد الرحمن شكري : ديوان عبد الرحمن شكري ، ج٨ ، ص ٦٥٣

(٢) شهيد ميسلون : هو االشهيد السوري محمد العظمة بك قائد في الجيش السوري ،

قُـل للـدَّعَاة المُحْسنينَ ظُنُونَهُم بِالغَربِ ماذا فِي السَّرابِ لِماتِحِ؟
لا تُغْـرينـكـم وعــود محـالـف يطأ المـمالـك بـإدعــاء مصالح
تمضي السنون وأنتم من وعده تـتـقـلـبـون عـلـى ظهور أراجح
والله لـو حسـر القناع لراعكم قـبـر أَعـد لـكم وخنجر ذابح[٣٤]

والشـابي أكثـر الرومانسـيين مزجًـا بـين عواطفـه الذاتيـة ومشـاعره الوطنيـة ، فلديـه حساسية مفرطة إزاء الاستعمار الغربي الغازي ، ففي قصيدته (إلى طغاة العالم) يتحدث عن المستبد الطاغي دون أن يحدد نوعًا معينًا من الاستعمار ، ويتنبأ بالزوال الحتمي للوجود الاستعماري مستخدمًا رموز الطبيعة وغضبها المشتعل:

ألا أيها الظالم المستبد حبيب الظلام ، عدو الحياة
سخرت بأنات شعب ضعيف وَكَفُّكَ مَخْضُـوبَـةٌ مـن دِمَاه
وَسِرْتَ تُشوّهِ سِحْرَ الوُجُود وَتَبْذُرُ شَوْكَ الأسَى فِي رُباهُ[٣٥]

ولعل قصيدته (إرادة الحياة) من أقوى القصائد دلالة على الثورة على الاستعمار ، وبث روح التصميم والتمرد وطلب الحرية في جماهير الأمة، حتى صارت أبياتها كالأمثال تدور على ألسنة الناس:

إذا الشعب يومًا أراد الحياةَ فلابـد أن يستـجيـب القَدَر
ولابـد للّـيَـل أن يـنْجَـلِي ولابـدَّ لـلقـيـد أنْ يـنـكَسِـر
إذا مـا طَـمَحْتُ إلى غـايَةٍ رَكِـبْتُ الـمنَى وَنَسِيتُ الحَذَر
ومَنْ لا يُحِب صُعُود الجبال يَعِـش أَبَدَ الدَّهْرِ بَيْنَ الْحفَر
إذا طَمَحَتْ لِلحَـيـاَة النُّفُوس فلابد أنْ يَسْتَجِيب القَـدَرْ[٣٦]

استشهد في جهاده ضد الفرنسيين في سوريا عام ١٩٢٠م ، انظر : ديوان علي محمود طه "أصوات من الشرق" ، ص ٤١٢.

(٣) علي محمود طه: ديوان "أصوات من الشرق" ، ص ٤١٤.

(١) أبوالقاسم الشابي: ديوان أغاني الحياة " ، ص ١٨٥.

(٢) المصدر السابق ، ص١٦٧-١٧٠.

ويمكن تلخيص السمات والخصائص الرومانسية من الشعار الذي رفعته جماعة الديوان ، وهو الشعار المستوحى من بيت عبد الرحمن شكري:

أَلاَ يَا طَائِرَ الْفِرْدَوسِ إنَّ الشِّعْرَ وُجْدَانُ[٣٧]

---

(١) عبد الرحمن شكري: ديوان أناشيد الصبا" ، ج٣، ص ٢٦٦.